# مقدمة تمهيدية

من الدراسات التي حظيت باهتمام الدارسين الأجانب نجد الكتاب القيم للدكتور/ أنازوا نيتوبيه (بوشيدو)[1] . وهو كتاب قيم في أسلوبه قيم في مضمونه. ونخص الدكتور/ أنازوا نيتوبيه (١٨٦٢-١٩٣٣) بهذا الاهتمام لأنه لم يحظ باهتمام اليابانيين المتخصصين في دراسات الفكر الياباني الحديث أو قبل الحديث. ولعل السبب الذي يكمن وراء هذا التجاهل هو اعتناق المؤلف للديانة المسيحية وهو ما يعني في المقام الأول غياب روح الولاء والطاعة للتربة اليابانية بكل ما تعني تلك الكلمة من ايجابيات وسلبيات. ولو أن اعتناق الدين لذاته لا يعني كثيرًا لعامة المتخصصين ولكنه الخروج عن روح اليابان التقليدية وهي المعروفة باسم (روح ياماتو)[2] والتي ترمز إلى دولة اليابان القديمة وروحها.

وقد لاحظت أن ظهور كتاب (بوشيدو) (١٩٠٥) للدكتور/ نيتوبيه كان مرتبطًا بأحداث غريبة أحاطت باليابان عند مطلع العصر الحديث، تلك الأحداث قد غيرت من القيم السائدة في مجتمع

---

[1] د./أنازوا نيتوبيه (بوشيدو)ج.بوتنام وأولاده، نيويورك،١٩٠٥.

[2] "روح ياماتو 大和魂 Yamatodamashi وترمز إلى كل ما هو مقدس في اليابان.

الساموراي أي مجتمع (الرجال) المخلصين لليابان ممثلة في إمبراطورها وكل ما يمس شرف اليابان ماضيها وحاضرها .

إن نظرة خاطفة على تلك الأحداث تعطينا كمًا هائلاً من المرارة والمعاناة التي واجهت مفكري هذه الأمة الجزرية ومثقفيها . فلقد كان هناك نوعًا من الاعتقاد لدى تلك الطائفة بأن اليابان أو (دولة ياماتو) محفوفة بعناية الآلهة، وأن تلك الآلهة كافية لحفظ دولتهم. وفوجئت اليابان بوجود عصرًا جديدًا تسيطر عليه الميكنة والآلة، وأن باب الخرافات ممنوعًا وغير مسموحًا به. نعم ساد وجوم وغيرة على روح اليابان التي تربى عليها هذا الجيل من اليابانيين، وهو جيل عصر ميجي (١٨٦٨- ١٩١٢) . نسبة للإمبراطور ميجي - وهو العصر الذي سادت فيه الأفكار الكنفوشيوسية بكل ما تعني من الولاء والطاعة لرجال السياسة، والاحترام والتقديس لأهل العلم وبالطبع هم أصحاب المدرسة الكنفوشيوسية ولا غير.

ومع انبعاث روح العلم الحديث وما نجم عنه من ظهور أصحاب المدرسة الغربية (يوجاكو)[٣] . فقد خفت حدة التعصب لأنصار الفكر الكنفوشيوسي المعروفة باسم(كانجاكو)[٤] . وبين أصحاب هاتين المدرستين تولدت نظريتين في الفكر الياباني الحديث إحداهما

---

[٣] "يوجاكو "洋学 نسبة إلى المدرسة الغربية أو الأوروبية والتي ظهرت مع انفتاح اليابان على حضارة الغرب.

[٤] "كانجاكو "漢学 نسبة إلى المدرسة الصينية الكلاسيكية.

تؤيد النظرية الحديثة في العلم ولكن من خلال أراء كنفوشيوس أو تلاميذه، والأخرى ترى في نقد ذلك والخروج على المدرسة الكنفوشيوسية واحترام روح العلم الحديث القادم من أوروبا والغرب مصلحة اليابان.

نعم كان هناك أشبه ما يكون باستحالة للتوفيق بين أصحاب تلك المدرستين، وساد عداء وكراهية بين تلامذة وأساتذة تلك المدرستين أدى ذلك بدوره إلى خلق نوع من الصراع الفكري بين المثقفين والمتعلمين في تلك الحقبة ترك أثرًا واضحًا في علاقاتهم العلمية والعملية.

نعم كان هناك انبهار بكل ما هو جديد ورغبة في فهم ذلك وإتقانه، لكن هناك خوف من نسيان روح الماضي بكل ما تحمل هذه الكلمة من حب وولاء غير مفهوم. حقًا إنه حب البقاء على تراث الماضي وإن لم يكن هناك دافع من وراء ذلك. نعم يأتي على إنسان حين من الدهر يكره التغيير حتى ولو إلى الأفضل لأن ذلك التغيير يكلفه أحيانًا كرامته وكبرياؤه الذي حافظ عليهما دائمًا.

إن مراحل التحول في حياة الشعوب دائمًا ما تمر بمعاناة لا حد لها، فإن الألفة والاعتياد تحولان دون السرعة في التحول إلى الأحسن، وقد لا يكون التحول معناه التحول إلى الأحسن ولكن على أية حال فأن التحول ضريبة تفرضها الأقدار على الشعوب والأفراد.

إن التحدث عن مجتمع الرجال(الساموراي)من خلال كتاب (بوشيدو) لنيتوبيه يعطينا إيحاءًا بأنه يريد أن يضفي هالة من القدسية على مجتمع الساموراي الذي ينتمي بالطبع إلى أجياله ،فقد كادت تقاليد البوشيدو تفرض نفسها على حياة المثقفين اليابانيين حتى في تجوالهم خارج اليابان. نعم فالسيف والزى التقليدي لرجال الساموراي كانت من أهم ما يعتز به الرجل ولا يقبل التنازل عنه.نعم قد لا يسمع المثقف العادي عن الفروسية بمعناها المدني وذلك لأنها لا تتمخض عن بطولة مرئية وواقعية. ولكن المؤلف نيتوبيه يستعرض معنا في كتابه عن تلك الروح الباقية من فروسية أجداده التي ظلت تحمي جزر دولتهم وتهيمن على زمام الأمور.

إن روح الفروسية التي تناولها المؤلف في كتابه من النوع الذي لا يضاهيه كلمة ولا يستغني عنه دارس، إنها روح اليابان التي لا يفهمها فقط سوى أبناء اليابان.

لعلني أردت من هذه المقدمة أن أعرف القارئ العربي بشيء لم يعتده من التاريخ الإنساني فربما يضيف تعليقي بعض الخلفيات التاريخية والثقافية عن نمط فريد من أنماط الفكر الإنساني الغير مدون، فقد حرص اليابانيون - شأنهم في ذلك شأن أبناء الشرق - على جعل ذلك سرًا من الأسرار حتى لا تفنى روح هذا العلم ولو في رجاله.

تعجبت كثيرًا من حب العزلة وشعار التدين عند اليابانيين، إنه حب من أجل اليابان ولا تدين سوى بروح الانتماء إلى أرض وجنس اليابان. إنه حب لا يختلف عليه اثنان لأنهم لا يحبون الاختلاف ويميلون إلى الائتلاف وعدم التصادم بالرأي.. نعم إنها روح اليابان. ومن ثم المعاني التي تمثل قيمة مطلقة أو قيمة نسبية لأبناء ذلك العصر. ونظرًا لأن موضوع المؤلف يدور حول قضية (صراع القيم بين القديم والجديد)، فإن القارئ العربي قد لا يستوفي حظه من الفهم لمجرد قراءة ترجمة (بوشيدو) [٥]. وسأحاول من خلال هذه السطور إلقاء مزيدً من الضوء على الجوانب التي أغفلها المؤلف والتي قد تجعل المعاني لا تسير في سلاسة وروية إلى قلب القارئ.

ومن أهم تلك الجوانب نجد الجانب التاريخي في فلسفة البوشيدو، ولعل ذلك يحتاج إلى معرفة تاريخ ظهور تلك الطائفة، وكذلك التطورات التي طرأت على أسلوب حياتهم، ثم أخيرًا مدى فهم المؤلف لتلك التطورات.. ولعلي في حل من التحدث عن نشأة البوشيدو الأولى [٦] لأن ذلك يستغرق مني الكثير من الوقت، وسأكتفي

---

[٥] الترجمة العربية أو الأجنبية.

[٦] إن نشأة البوشيدو المبكرة غير معروفة على وجه الدقة ولكن دراسة المجتمع الياباني في بداية عصر كاماكورا (١٣٣٣-١٧٩٢) يعطينا كما من المعلومات الأولية عن تاريخ ظهورهم أنظر: يوشيكاوا تتسوشيى" الموجز في تاريخ الفكر الياباني" هيروفومى للنشر، شووا٥٣.

بعرض وتحليل القيم الخالدة التي أرستها البوشيدو وعززت من روح اليابانيين مما جعل المؤلف يشيد بمحياهم فضلاً عن مماتهم.

وربما نجد إن دولة ياماتو (اليابان قديما) - هي من الدول النادرة في قلب آسيا التي حظيت باهتمام الدارسين الأجانب واستولت على رغبتهم وذلك لأن كثيرًا من الآثار والطلاسم التي أضفاها حكام تلك البلاد عليها جعل فهم حقائق التاريخ من الصعوبة بل ومن المرارة أيضاً.. فكثيرًا ما تكون اللغة عائقًا صلدًا يحول دون فهم ذلك، وبالتالي يعمى على الدارس التغلغل في كنه الفكرة أو حتى العلاقة بين الإنسان وتلك الفكرة.. كذلك نجد أن عدم خضوع اليابان لقانون سماوي واحد يهتدي به أبناؤه جعل دراسة الواقع فقط شيئًا مملاً وغير مجدي.. فالماضي هو زخر كل أمة ونبضها الساري. إذن لا مفر من طرق أبواب الماضي ومحاولة فتح ملفات التاريخ للتعرف على طبيعة تلك الأمة الجزرية التي لا يبدو لأول وهلة أن هناك تباين في طريقة حياتهم وأنماط سلوكهم.. ولكن ما هي إلا لحظات حتى ينكشف المخبوء وندرك بنور العقل أن هناك ستارًا كثيفًا من التعتيم على حقائق تاريخية أو التستر عليها أحيانًا حتى لا يصطدم المهتمون بحقيقة تلك الأمة.

ومن أهم القضايا التي تثير اهتمام الدارس لثقافة اليابان هو علاقة الماضي بالحاضر كذلك المفاهيم التي سيطرت على فكر قادة اليابان

ورجال فكرهم كي يسطروا أساطيرهم ويؤلهوا إمبراطورهم وأسرته.. إن تتبع تلك القضايا ومحاولة فهمها سيعطي القارئ فرصة ثمينة كي يتعرف على البوشيدو من أبوابها الخلفية وليس كما يروق للمؤلف أن يسطر.

## البوشيدو في ضمير اليابانيين

إن البوشيدو التي تمخضت عنها تلك الدراسات ليست هي روح القتال الفاني لأجل القيم الخالدة أو النزاهة المطلقة التي تخلد صاحبها، ولكنها روح البقاء على الود مع سلاطين هذه الأمة (العلاقة بين السيد والمسود - الإمبراطور ورعاياه) ،ومعاني الود هذه هي الرضا بما يرضي السيد المصون حتى ولو كان في ذلك قسوة وغلظة على النفس.. فالطاعة العمياء هي الشرط المسبق للدخول في زمرة رجال البوشي أو الساموراي وإلا الطرد وقطع لقمة العيش بل وتشريد الأسرة والأبناء.. فالشرف كل الشرف في مراعاة تلك الفضيلة وإثباتها في الواقع وعلى أرض القتال إذا استدعى الأمر ذلك.. ونظرًا لأن الطاعة العمياء تضفي انسجامًا عاطفيًا واندماجًا روحيًا بين رجل البوشي وسيده فإننا نجد عجبًا بالغًا من اعتبار تلك النقطة هي القيمة المطلقة التي لا يفوقها أي قيمة أخرى.

وقد أوجبت تلك الفضيلة (الولاء والطاعة) حسنًا من الجوار وروح الخدمة الفانية لأجل راحة السيد أو ولي النعمة عليه..

وبالتالي ضمان حياة مستقرة في ظل الأمان الذي توفره تلك العلاقة، ومن هنا فإن رجل البوشي قد استمد بقاءه من رضا سيده الذي يطعمه ويسقيه، وأن واجبه فقط هو الدفاع عن مصالح سيده وأوامره وبالتالي نوال رضاه. . وربما كانت الصراعات على مناطق النفوذ قبل توحيد السلطة على يد رجال الباكفو ـ الحكومة العسكرية ـ كانت هي إحدى الركائز التي أنجبت طائفة البوشيدو وجعلت لوجودهم أهمية قصوى. . ومن البديهي أن يلتف الناس حول البوشي لاعتقادهم في صدق أحدوثتهم وارتقاء نفوسهم. . فلم يكن هم البوشي سوى الدفاع عن الهدف الذي من أجله وجد، وليس السعي وراء الكسب أو السير وراء نزوات طارئة، فالرجولة التي هي رمز الجمال عند هذه الطائفة تحتم عليه سموًا في الخلق ونزاهة في المقصد. فهم لا يكترثون بشيء من متاع الحياة، ولا هم لهم سوى الزهد في المطالب اليومية والصبر على كل غلظة، وعدم الشكوى للغير وانتظار الفرج من فضل سيده.

هكذا استمرت تلك الروح ردحًا من الزمن قل ذلك أو طال، حتى هبت رياح التغيير على دولة ياماتو في عصر ميجي – نسبة إلى الإمبراطور ميجي– (١٨٦٨–١٩١٢) محملة بقيم جديدة لم يكن يتوقعها أبناء طائفة البوشي. إنها قيم تهدم كل ما كان سائدًا في عصر إيدو السابق على عصر ميجي، بل وتدمر الخلود الأخلاقي

لمجتمع الساموراي والذي أسس مدرسته على أساس من الرفض للنزعات المادية والتغلغل في معاني الخلود التي تكمن في طبيعة اليابان. إنها معاني الانسجام مع الطبيعة والتقرب إليها طمعًا في خيرها وبعدًا عن غضبها . . إن الانسجام والتآلف بين الضعيف والقوي لا يتم إلا بالاعتراف بحق القوي لأجل البقاء. فقد كان لتجارب الأجيال السابقة أهمية وأحدوثة جميلة عند أبناء هذا الشعب، فهم لا يكفون عن الاعتزاز بمعاني القوة التي كان يحملها أجدادهم، ولكنهم في نفس الوقت يتعلمون من تجارب التاريخ أن الصراع بالقوة لم يجلب لهم سوى الشقاء والعداء لبعضهم البعض.

ومن هنا فإن القيم الخالدة لأمتهم تحتم عليهم الإصغاء لأولي الأمر بالطاعة والولاء للعرف وعدم الخوض في الجدل العقيم ومسايرة الواقع منعًا للصدام.[٧]

إن عصرًا جديدًا يتسم بالجدية في السعي والبعد عن الخيال قد بدأ يفرض نفسه على اليابان في منتصف القرن الثامن عشر حينما وصل أسطول الأدميرال/بيريه الأمريكي طالبًا بعض الموانى للتزود بالوقود من حكومة الباكفو في الوقت الذي كانت اليابان فيه مغلقة على نفسها معتزة بكبريائها، لا تجد في مخالطة الأجانب سوى

[٧] إن الاعتراف بالواقع وعدم الصدام مع الأقوى هي إحدى سمات الفكر الياباني، لذا نجد أن الانسجام مع الطبيعة مسبق على الصدام معها. والطبيعة هنا هي كل ما يعبر عن معاني الخير والشر والقوة والضعف أو ما تقرره الطبيعة خارج إرادة الإنسان.

انحطاطاً ورزيلة تهدد عنصرهم السامي، هكذا نبتت أراء العنصرية على ضفاف دولة ياماتو، فقد كان محرمًا على الأجانب دخول البلاد في ذلك الوقت باستثناء مينائى ناجاساكي وهيروشيما اللذان كانا يسمح فيهما بالتزود بالوقود وتبادل السلع بين اليابان وجارتها الأم (الصين) . . ولم يكن الأمر يزيد عن بعض التسهيلات التي سمحت بها حكومة الباكفو لبعض سفن هولندا التي كانت تحمل الحديد وبعض المنتجات المعدنية إلى هذا الميناء. ولم يعد الأمر سرًا أن محاولات الأدميرال/ بيريه لفتح المواني كي يتزود بالوقود قد خلق شعورًا بالاستياء لدى حكومة الباكفو خاصة وأن الأمر قد وصل إلى داخل البلاد وأصبح يشكل تهديدًا صريحًا لكبرياء الأمة، وبالتالي كان هناك رأيان: رأي يرى مقاومة ذلك الأجنبي ومنعه بأي ثمن وكان هو الرأي الأغلب وكان يقوده رجال الساموراي المستعدون للتضحية، ورأي يرى التريث في الأمر والسماح لهم بالتزود بالوقود والماء طالما أنهم لن يدخلوا اليابان. واستقر الأمر على الرأي الثاني، وصاحب ذلك غليانًا ملحوظًا بين المثقفين الذين ينتمون إلى المدرسة الكنفوشيوسة التقليدية والتي ترى في المحافظة على كبرياء البلد ومخاصمة الأجانب نوعًا من القوة. نعم ساد إحساس غامض بعدم الارتياح بل والخوف من هذا الاستفزاز الأجنبي خاصة إذا علمنا أن نبأ هزيمة الصين (دولة شن) وهي الدولة الأم على يد الإنجليز في

حرب الأفيون(١٨٤٢) قد وصلت أنباءه إلى داخل البلاد وأن الخوف من تعرض اليابان للمعاملة بالقوة جعل الأمر يحتاج إلى حكمة عالية في التعامل مع الأجانب القادمين. إن تلك الروح الجديدة التي هبت على اليابان في ثوب الميكنة الحديثة وعصر المادة خلق تهديداً حقيقيًا لمجتمع البوشي الذي كان يعتز بالأخلاق الكنفوشيوسية وروح ياماتو أي روح الانتماء لأرض الأجداد وآلهتهم، وهو انتماء فرض روحًا لا تعرف الضعف وإرادة لا تقل الحديد . . بل ومقاومة عنيدة لكل من يحاول تغيير تلك الروح الموروثة. وكان من البديهي أن تتجه حكومة ميجي . وهي الحكومة الانتقالية التي انتقل إليها أمر البلاد أثر محاولة انقلاب سلمية بل وودية على يد النبلاء . لإقامة دولة حديثة وبناء جيش قوي قادر على مواجهة استفزازات الغرب القوي الذي فرض على اليابان فتح أبوابه.

ولم يمض قليلاً حتى شهدت اليابان تغييرًا جذريًا في مفاهيم السياسة والاقتصاد والتعليم والميكنة الجديدة. . لقد ساور اليابانيون شك قاتل في القيم الأخلاقية التي يؤكدها أنصار المدرسة الكنفوشيوسية والتي تجرم السعي وراء المادة ومحاولة تقليد الأجنبي في مظهره وطريقة حياته، إن مثل هذا الجمود الفكري كان من وجهة نظر أصحاب المدرسة الغربية (يوجاكو) أحد الأسباب وراء تخلف اليابان وعدم لحاقها بالأمم المتحضرة. . مما خلق عقدة نفسية

لوحظت لوقت طويل على مستوى رجال الحكم والمثقفين-إنها عقدة الخواجة - أي الاعتقاد في كل ما هو أجنبي والنقد لكل ما هو تقليدي. ونشأ عن هذه الروح الجديدة روح النقد لطائفة البوشي التي كانت تتشدق بمعاني الصبر والتضحية أمام الموت.. وما أن أدرك المثقفون من رجال الحكم خيبة اليابان أمام سلطان الآلة الجديدة حتى ساد إحساس بالانهيار النفسي وعدم الثقة في المعاني الأخلاقية.. وزاد الطين بلة أن الساموراي رجل نظري غير قادر على صنع شيء بل هو عالة على سيده يطعمه ويسقيه.. وبدأ التفكير جديًا في إلغاء النظام الطبقي الاجتماعي وانهارت البوشيدو رسميًا، ولو أن قيمها الراسخة في القلوب هي التي سجلت لليابان النصر الحقيقي في قضية التقدم والتحدي.. ولست أدعي من كل تلك السطور أن روح اليابان التي ولدتها تعاليم البوشيدو الأخلاقية هي السبب الأوحد في انطلاقة اليابان المظفرة، بل الحق يقال أن هناك ظروفًا دولية أجبرت اليابان على الدخول في زمرة الشعوب الحرة وإنهاء عزلتها السياسية التي طالما كانت هي السبب ضمن أسباب أخرى جعلت اليابان أمة غير مفهومة الأخلاق والطباع، بل وساعدت تلك الظروف على خلق أسطورة اليابان الجديدة بدلاً من تلك الأسطورة التي روج لها الغرب والتي لم تعرفها الأمم المتحضرة من قبل.

## مدخل إلى علم البوشي

قبل أن ندخل في متاهات البحث عن ماهية البوشي من الوجهة التاريخية والجغرافية فإننا في حاجة إلى التعريف الضمني الذي ترمز إليه كلمة (بوشي) . إن كلمة "بو" تعني "سلاح"، وكلمة "شي" تعني "المحارب" . . والكلمتان تحملان روح القتال في مجتمع المحاربين وهي روح لا بد أن يتسم بها هذا الصنف من الرجال. فلا فرار من المعركة وإلا العار، ولا لوذ بخندق وإلا الشماتة.

نعم هناك تقاليد تربت عليها هذه الطائفة من الرجال إلا وهي الأنفة والكبرياء وعدم الوهن أمام أي إغراء فأصبح حقًا لهم أن يعيشوا في الأرض الفساد ويتحكموا في مصائر الطبقات الأدنى منهم مما جعلها تلوذ بهم وتتمسح بأعتابهم سعيًا وراء رضاهم وحبًا في الانتساب إليهم.

والجذور التاريخية لطائفة البوشي ترجع إلى ما قبل عصر كاماكورا (١١٨٥-١٣٣٣) وهو يعني العصر الذي احتد فيه الصراع التاريخي بين عشائر "الجنجي" و"الهيكي" وهما العشيرتان اللتان يؤول إليهما الفضل في خلق مصادر الأخلاق التي ارتبط بها المقاتل في كلتا العشيرتين، ولو أن الصراع بينهما لم يزد عن صراع نفوذ من أجل

الأرض والهيمنة فقط، ولم يكن هناك شكلاً سياسيًا معروفًا آنذاك اللهم إلا حكمًا إقليميًا لكل عشيرة على حدة.[٨]

وبانتهاء عصر الصراع العشائري انفتح الطريق أمام ظهور تلك الطائفة المعروفة باسم (البوشي) والتي أثبتت جلادة في القتال وولاء للعشيرة.. ومع انقضاء عصر النبلاء "الجنجي" و"الهيكي" ظهر عصرا جديدا أكثر بساطة وتقشفا وهو عصر "أولاد البلد" أو ما يسمى "المنشو"، وبالتالي عبر عن وجوده من خلال ثقافة البوشي البسيطة والتي رفعت قدر اليابان حتى في عصور ما بعد الانفتاح العصري.

## السياسة وعلاقتها بالدين

إن علاقة السياسة بالدين كانت قوية منذ مطلع التاريخ، ونخص بالذات تاريخ اليابان الذي يزيد على ألفين وخمسمائة عام، وبالأخص تزداد هذه العلاقة وضوحًا في عصر "طوكوجاوا"(١٦٠٣-١٨٦٧) وهو بداية العصر الإقطاعي، ونظرًا لأننا لا يمكن أن نتطرق إلى تاريخ اليابان ككل لنستعرض من خلاله تلك العلاقة، فإن العصر الذي قويت فيه تلك العلاقة وأحكمت كل شيء باسم الدين هو العصر الذي حكمت فيه أسرة "طوكوجاوا" ويطلق عليه "عصر إيدو"

[٨] ان الصراع على مناطق النفوذ في القرن الثاني عشر كان احد الأسباب في ظهور طائفة البوشى واستخدامهم في الحروب الداخلية، فكانوا أشبه بالفتوات أو المماليك المدربين على أعمال القتال والفروسية.

أيضا . أما عصر "طوكوجاوا" فقد كانت هناك ثلاث حركات فكرية اتخذت من الدين محورًا لأفكارها وهم: البوشيدو وأنصار المدرسة القومية(الكوكوجاكو) وحركة (الميتو) . وفي هذا الجو الفكري نود أن نستعرض أهم تلك الحركات من الوجهة الفكرية وعلاقتها بالأديان أولاً، ثم تطورها على الساحة الوطنية كأيديولوجية سياسية. . وقبل أن نستعرض هذا الموضوع نحب أن نلقي الضوء على الجانب التاريخي الذي جمع تلك الحركات ثم علاقة كل منهما بالأخرى ثم دور كل حركة في حركة التنوير الحديثة.

وإذا استعرضنا تاريخ اليابان السياسي لوجدنا صلة وثيقة بين الدين والسياسة عبر ثلاثة أديان رئيسية:

## أولا: الديانة الشنتوية

إن أقدم المراجع التي تتعلق بالشنتوية توضح لنا أن مولد الدولة لم يكن في البداية مرتبطًا بالديانة القبلية ولكن جنس ياماتو الذين كان محور نفوذهم في الجزء الأوسط من اليابان في بداية التقويم المسيحي بدئوا يربطوا السياسة بالدين مؤسسين أسطورتهم التي قامت على تفسيرهم الخاص لتلك الأسطورة والتي استمدت عناصرها من كتاب "الكوجيكي"– أقدم كتاب أساطير في اليابان – والتي يخبرنا بمولد

اليابان المقدسة بعد زواج الإله الأعظم أماتيراسا من إلهة الشمس وأنجبوا اليابان بعد أن أحكموا سيطرتهم على الآلهة الأخرى[٩] .

ونظرًا لأن تلك الأسطورة هي تلك التي استمد منها النظام الإمبراطوري شرعيته الدينية والسياسية ،ونظرًا لأن كلمة سياسة (まつりごと) في اللغة اليابانية تعني "الاحتفال الديني" فإن السياسة كانت تعني الاحتفال الديني. وقد أوجب ذلك قدسية بالغة عند التعامل مع المصطلح السياسي لهذه الكلمة فهي تعني طقوسًا دينية وصلوات وواجب قومي في آن واحد .وقد يكون لتأثير الصين على هذه التسمية دورًا فعليًا .

## ثانيا: الكنفوشيوسية

الكنفوشية ليست ديانة تعبدية مثل الأديان العالمية المعروفة، ولكن ما يمكن قوله أنه في عام ٦٠٤ ميلادية صدر دستور دولة ياماتو في عهد الأمير/ شوتوكو وهو الدستور الذي استوحي نصوصه من كلا من البوذية والكنفوشيوسية، أما النظرية التي تمس الحكم بالذات فإنها كنفوشيوسية المنبت.[١٠]

---

[٩] هناك الكثير من الأدلة التاريخية على تسطير أسطورة إلوهية الإمبراطور لأسباب سياسية بحتة كي تدين له الأمة اليابانية بالولاء والطاعة، ويعد كتاب "الكوجيكى" من أقدم الكتب التاريخية التي نقل عنها تلك الأساطير.

[١٠] لقد قام الأمير/شوتوكو باستقدام القوانين الصينية في القرن السادس الميلادي، وهو أول من أسس دستورا جديدا للبلاد.

إن النظرية الكنفوشيوسية في الحكم تنص على أن سلطة الحاكم ليست فقط سياسية بل أخلاقية وأسطورية أيضاً . . وقد صاحب تلك الأيديولوجية نظرة مقدسة للإمبراطور فضلاً عن أسرته أيضاً .

ثالثاً : البوذية

أما البوذية فإنها لم تخلو من رباط قدسي مع السياسة وخاصة في علاقتها مع الإمبراطور وأسرته، فقد ظهرت طوائف بوذية تنظر إلى الإمبراطور على نفس شاكلة بوذا وتعتقد في اتحاد مملكة ياماتو الروحية الممثلة في الإمبراطور وبين بوذا - هوتوكيساما - وقد أدى ذلك النسب الخرافي إلى وجود تبريرات شرعية تؤيد الجمع بين العقيدتين في ثوب جديد دون حاجة إلى نزع الثوب القديم.

## البوشيدو وجذور القومية

إن البوشيدو في مطلع أمرها كانت شتات من العقائد الشنتوية والبوذية والكنفوشيوسية فهي طريقة حياة ومبدأ كفاح وشريعة قوم ،وفي كل المعاني خرجت منها روح قومية فاقت حدود التدين إلى حد الخرافة وتجاوزت معاني الرجولة إلى حد العدوان. . نعم لقد ولدت طريقتهم نزعة قومية متطرفة وروح عدوانية توسعية هدمت علاقات اليابان مع جيرانها الآسيويين حينما حاول اليابانيون أن يؤكدوا ويثبتوا أسطورة الإمبراطور ودولته العظمى وقت الحروب. . فقد تطورت الأحداث الدولية بسرعة مذهلة أفقدت قادة اليابان

الحكمة ودفعتهم تحت وهج هذه الروح إلى حرب توسعية أسموها "حربًا مقدسة" من أجل الإمبراطور اندفع فيها كل شاب وامرأة بل وطفل صغير وهو مؤمن بأن الإمبراطور سيرعاهم بل وسيقدم لهم الحماية الإلهية عندما يفتحون تلك البلاد . . إن الأسطورة التي رسمها قادة اليابان لم نعد نسمع عنها الآن بل وأصبح الحديث عنها مثار سخرية اليابانيون أنفسهم.[١١]

عودة إلى الحديث عن منابت البوشيدو فأننا نجد أن الجانب العملي في هذه العقيدة قد غير الكثير من ملامح التخلف في اليابان. فلأجل أن تصبح اليابان قوية يجب أن تتطور من عهد كان الاستسلام فيه للقدر نوعًا من الشجاعة ومخالفة العرف نوعًا من الجبن. . حينئذ سيكون مبدأ الكفاح لتحقيق النصر هو الخطوة العملية التي حددتها فلسفة البوشيدو. . إن عقيدة الكفاح تفرض مقدمًا ولاء وإخلاصًا لهذا الوطن، وحبًا واندماجًا مع هذه الروح وإلا كيف سيتحقق النصر. لقد غرزت تعاليم البوشيدو في نفوس الشباب رغبة جامحة في تحقيق التفوق، ليس التفوق الأخلاقي في عالم المثاليات فحسب بل التفوق الذي يؤكد انتصار روح اليابان على أى روح قومية أخرى.

---

[١١] أن التاريخ ليثبت أن اليابان قد تبنت نظرية الإمبراطور المؤله لتبرير حروبها الخارجية وحولوا هذه الفلسفة إلى أيديولوجية سياسة-دينية في آن واحد.أنظر: "Nuguchi Kozoo, Bushido As aNarrative Discord –An attempt At A critical Genealogy, Inte.History", No.33, 2001. P.185. Japanese

إن قضية الانتصار عند اليابانيين تمثل الرغبة في تحرير الروح اليابانية من أي قيود، أنها قضية الحرية الوطنية والاستقلال. إن أي معاني تحول دون ذلك هي عين الهزيمة والهلاك . لقد كانت البوشيدو تعزز في نفس الياباني رفض الاستسلام للخوف أو المرض أو حتى الألم. . وكان من البديهي أن الغرض من وراء ذلك هو إثبات قوة النفس ورباطة الجأش. . وما أن جاء عصر ميجي وهو عصر المساس بكبرياء اليابان تحولت الآراء من مجرد صيحات تردد في الهواء إلى ناقوس خطر يدق في كل الأجواء. لقد تحركت اليابان قادة وشعبًا في موجة واحدة كي يدافعوا عن كرامتهم وهي كرامة الأمة من أن تدنسها دولة أجنبية.

إن البوشيدو هي خلاصة التعاليم الدينية والأخلاق الوطنية والتي تحولت إلى رمزً لكل مقدس عندهم، فإن أردت أن تكون وطنيًا مكرمًا فيجب أن تتعلم معاني الرجولة التي سطرها رجال البوشي.

## البوشيدو وعلاقتها بالسياسة

سبق أن قلت أن علاقة البوشيدو بالأديان تمثل محورًا أساسيًا تقوم عليه، فالبوشيدو تدعو إلى الإخلاص للإله (سواء كان هذا الإله ممثلاً في شخص الإمبراطور أو عائلته، أو ممثلاً في قادة اليابان الأقوياء، أو كل شيء يربط بالتربة اليابانية) . والإخلاص هو نفس العمل لغير المنعوت بالإلوهية، فالهدف الذي من أجله أحيا لا بد وأن

يلتقي مع الرغبة في التضحية، بل وحب التضحية.. ونظرًا لأن تلك المعاني لا توجد إلا في المعاني التي تنادى بها البوشيدو، فبديهي أن يتحلى رجال اليابان بتلك الروح بل وتعد مصدر حبهم للوطن وولائهم لترابه.

إن العبادة عند اليابانيين تعد طرازاً مختلفاً عن سائر العقائد، فقد يكون لديانة ما شكلاً وطقوسًا لا مفر منها عند القيام بالصلاة لأجل الإله، ولكن بالنسبة لليابانيين تعنى روح الانسجام مع الواقع والصبر لأجل الهدف، فإذا كانت الحرية هي الهدف فلابد من تحقيق ذلك بالصبر وألوان المهادنة، وهدوء النفس فلا ثرثرة ولا عنف، فاليابانى لا يلجأ إلى العنف إلا حين يكون ذلك واجبًا يحتم عليه ذلك، فالرغبة في الحرية تفرض واجبًا يجب تأديته وإلا فنوال الحرية مستحيلاً.

إن الحديث عن البوشيدو منفصلاً عن السياسة يعد أمرًا مستحيلاً، فالسياسة عند اليابانيين هي انعكاس لمعاني البوشيدو، تلك المعاني التي عززت حب الوطن ممثلاً في الأرض والطبيعة والإمبراطور والشعب. إنه حبًا جامعًا لا يفرق بين جزء وآخر، إنه حبًا غريزيًا انفطرت عليه الشخصية اليابانية، إنه خلاصة تعاليم البوشيدو التي تمجد الروح اليابانية وتعد اليابان فوق رؤوس البشر..وقد أمدت هذه الروح اليابانيين باعتقاد راسخ بأهمية الدفاع عن كل شيء يمس كبريائهم سواء كان ذلك يعني الولاء للوطن

أو العرق أوالآلهة، فالولاء مسبق على المبدأ، والحقيقة لا تعني سوى مصلحة اليابان. .لقد بحثت كثيرًا في أسباب تقدم اليابانيين فوجدتها في تلك الروح. وقد يكون في انتهاج هذا الشعب لطريقة حياة متكاتفة أحد الأسباب التي جعلت التجانس مطلوبًا في كل شيء والاختلاف مبغوضاً إلى حد بعيد ،وكما ذكر مؤلف البوشيدو ونقلاً عن مقولة "آرثر كتاب" في قوله "من الصعب أن نميز في الأدب العبري إذا ما كان الكاتب يتحدث عن الله أو الدولة أو الوطن نفسه" وهذه الكتلة الواحدة في الفكر والسياسة والتقاليد الاجتماعية والدينية خلقت توحدًا تامًا في الشعور والوجدان بل في الواجبات القومية بصرف النظر عن صحة ذلك أو خطأه. ولعل الحديث عن علاقة البوشيدو بالسياسة يفرض علينا نوعًا من الالتزام بالبحث عن الجوانب التي استوحى منها رجال الحكم أفكارهم لدعم فكرة الحكم والتسلط. . إن كثيرًا من النظريات والتعاليم الأخلاقية استمدت جذورها من الكنفوشيوسية فإقرارها للعلاقات الأخلاقية الخمس بين "الحاكم والمحكوم" و"الأب والابن" و"الزوج والزوجة" و "المعلم والتلميذ"و"القائد والجندي" كلها أتت تؤيد ما كانت تتمخض عنه الغريزة اليابانية. . فقد كان لبساطة التعاليم الكنفوشيوسية أثرها الواضح في تقبل اليابانيين لها واندماجها مع أوضاعهم البيئية وثقافتهم الذاتية فقانون الطبيعة الذي يحكم البيئة اليابانية يفرض نوعًا من

الاحترام للأقوى والولاء والطاعة له، ومن هنا جاءت تعاليم كنفوشيوس بمثابة دعامة قوية لما كان سائدًا في ربوع اليابان من علاقات إنسانية.

ومن هنا يتضح لنا أن تعاليم البوشيدو نبتت في أوضاع بيئية فرضها الواقع أكثر من النظرية، فقد انسجمت التعاليم في مضمونها مع نظرية الواقع انسجامًا حقق نوعًا من التآلف القومي، فقد أقر القوي على أحقيته في البقاء وبالتالي نفوذه المادي، وأنكر على الضعيف حق الحياة (الاستقلال) طالما أنه لا يجد ملجئًا يؤويه ويحميه من الضياع والفناء..

ومن منطلق تلك الظروف ظهرت أخلاقا طيبة في مظهرها خبيئة في مخبرها، فنجد أن معاني الواجب تجاه الحاكم هي في ظاهرها طيبة المعنى ذكية الرائحة ولكن في باطنها تحمل روح الخوف على المصير وحب البقاء والرغبة في حياة مستقرة. إن رجال البوشي كانوا يتحلون بالشجاعة أمام أسيادهم فقط دون الحاجة إلى تأكيد ذلك أمام العامة وأن كانت الطبقات الأدنى كانت تخشى قوتهم وتحاول تقليدهم. كذلك نجد أن حكم البلاد انتقل إلى طبقة البوشي في وقت عم فيه الكرب والفقر في البلاد، فقليل من ثروات البلاد كانت في أيديهم وأغلب الثروات في أيدي النبلاء الذين اشتهروا بالبذخ والرغبة في تقليد أباطرة الصين واقتناء فنونهم. إن تعاليم

البوشيدو لم تكن تحمل في طياتها نظريات مجردة أو غاية سامية تلحق الفرد بالملأ الأعلى بل رغبتها كانت مجرد البقاء على الود مع سلاطين هذا الزمان نظير إعالتهم.

## البوشيدو وعلاقتها بالاقتصاد

طالما كانت البوشيدو تتغنى بالفضيلة وتنأى عن الرزيلة فإن البعد عن الملذات والزهد في المطعم والملبس هي المرادف الطبيعي الذي تتحلى به تلك الطائفة. ولعل ما كانت ترمي إليه تلك الأيدلوجية من تعويد النفس على الصبر على الملذات والانتصار على الشهوات ومقاومة الإغراءات أثرًا عميقًا في الحفاظ على طاقات الشباب من التبديد وإدراك الحكمة في توزيع الثروة وتمكين الدولة من الحفاظ على ما تدخره البنوك من أموال لاستخدامها في مشاريعها الضخمة.. ونظرًا لأن الطبيعة الجميلة هي مبعث كل راحة وملجأ كل كسير فقد ظهرت طائفة من الشعراء يتغنون بالزهد ويثنون على الحب الذي تعطيه الآلهة لمن يتمسك بالعزوف عن الشهوات.[١٢]

وهكذا يتضح مما سبق أن العادات الحسنة إذا ما عمت وانتشرت كان لها أكبر الأثر في خلق جيل قويم الخلق سليم الإحساس مثابر في الحياة متفاني في حب الوطن.. ولما كان العصر

[١٢] إن العزوف عن الشهوات والزهد في الملذات أحد سمات الفلسفة البوذية في الحياة والتي ترقى بها روح الإنسان لتتحد مع بوذا في مملكته القدسية. وقد استمدت البوشيدو أخلاقها هذه من هذه الفلسفة فارتقت بأخلاقها وكانت مثلا أعلى للأمة اليابانية.

الحديث يحمل في طياته كل دلائل حب المال والدعوة إلى جمعه لأجل البناء والتعمير فإننا نجد أن كثيرًا من رجال البوشي قد تأزمت أخلاقهم بصدور قرارات حل النظام الطبقي الذي دام قرابة مائتان وستون عام، فقد انطوت هذه القرارات على أهداف جديدة مردها الحاجة إلى دخول اليابان العصر الجديد والحث على العمل الخلاق.

ولما كان أغلب طوائف البوشي من الصنف الذي ينكر حب المادة ويفتخر باحتقاره لها فقد سبب دخول اليابان عصر جديد أهدافه المادة في هدم كثير من العلاقات الاجتماعية المتينة التي كانت تربط تلك الطوائف بأفراد المجتمع.. وانحسر عمل البوشي في أعمال لا تجلب استقرارًا ولا هدوءًا.. وأخذ كثيرٌ منهم يتقبل الوضع الجديد بشيء من الألم والمرارة.. وظهرت دعوات تدعو إلى الانخراط في المدنية الحديثة مع الاحتفاظ بالروح القديمة وهو الشعار المعروف باسم和親洋才 "Washin.Yosai" أي الروح اليابانية والنبوغ في العلوم الأوربية، وبالتدريج أخذت تلك الروح تتعرف على أخلاقا جديدة لها مفهوم جديد، فالسعي من أجل المادة لا يعني المادة لذاتها بل تأمين الروح اليابانية وحمايتها أمام جبابرة الغرب.. هكذا فسر أغلب مثقفي اليابان وهم ممن ينتسبون إلى المدرسة الكنفوشيوسية أي "كانجاكو" فلسفة العصر الجديد.. ونظرًا لأن العصر الجديد كان يتطلب الجد والاجتهاد في تعلم اللغات الأوربية الحديثة فإن أغلب

المتعلمين كانوا يعانون من عدم فهم اللغات الأوربية وذلك لعدم وجود قواميس يابانية ـ أوربية، واتجه معظم هؤلاء المثقفين إلى البحث في القواميس الصينية ـ اليابانية والتي كانت تساعد على تقريب المعاني. وقد كتبوا معظم النطق بالحروف الصينية آنذاك حتى يمكن حفظها . . إن عظمة هذه الروح التي ولدتها البوشيدو تكمن في قدرة هذا الجيل من اليابانيين في الحفاظ على روحهم القديمة بينما يسعون إلى قيام دولة حديثة روحها لا تتفق مع فكر البوشيدو شكلاً أو مضموناً . . وقد أسهمت روح البوشيدو وهي روح اليابان التقليدية في الحفاظ على قدر عال من المعنويات العالية في مواجهة العصر الحديث بكل ما يحمله من حب المادة والنفعية الزائدة. . وقد أكد رواد النهضة اليابانية تلك المعاني في كتاباتهم عن الحضارة الأوربية ومدى احترامهم لروح اليابان مهما بلغت رغبتهم في التقدم، إن مجلة رواد الفكر الحديث والمعروفة باسم "المي روك زاشي" 明六雑誌 Mei.roku.zasshi أي مجلة السادس من ميجي[١٣] والتي كانت تضم أكثر من ثلاثة وأربعين عددًا مكتوبة بأيدي رواد المدرسة الغربية المعروفة باسم "يوجاكو" وغالبيتهم ممن يعتزون بنسبهم إلى رجال الساموراي وخلاصة مثقفيهم، ونجد أن

[١٣] مجلة السادس من ميجي Mei.roku.zasshi 明六雑誌 هي أحدى واجهات اليابان الحضارية في العصر الحديث فكانت هي لسان حال المثقفين في بداية عصر الحضارة والتنوير، والناطقة بأحلامهم نحو التقدم والمدنية الحديثة.

أكثرهم ممن لهم أصل بوشي أي سامورائي وممن سافر أغلبهم في بعثات دراسية لدول الغرب كي ينقلوا حضارة الغرب لليابان. إن هؤلاء المثقفين الجدد كانوا يؤكدون في كتاباتهم أهمية الحفاظ على روح ياماتو أي الروح التي تمسك بها رجال البوشي الأحرار، وكانوا لا ينفكون عن معاداة كل من تسول له نفسه أن يخرج عن هذا الإطار.

إن معاني الزهد ومقاومة النفس التي خلفتها تعاليم البوشيدو كان لها أكبر الأثر في تشكيل روح الجماعة التي أسهمت بقدر فعال في تطوير نظم الإدارة في الشركات، وتعزيز معاني وقيم العمل لأجل الشركات بل وصل الأمر إلى حد التضحية بأيام الأجازات لأجل تحقيق أعلى ربح للشركة أو المصنع الذي ينتمي إليه. إن روحًا جديدة سرت في أوصال المجتمع الياباني وعلى رأسها المؤسسات الاقتصادية والمصانع الجديدة، فقد كرس رجال الاقتصاد أهدافهم لخدمة الوطن، وأصبح شعار: العمل لأجل الشركة مساويًا في المعنى: العمل من أجل الإمبراطور[١٤]. وأصبح ذلك يشكل عبئًا على استقلالية الفرد وحياته الخاصة بل وأصبحت أسرة الموظف

[١٤] لقد كان شعار العمل عند اليابانيون في بداية مدنيتهم الحديثة هو العمل من أجل الإمبراطور كنوع من رد الجميل Ongaeshi 恩返し وتحولت اليابان على أثر ذلك إلى خلية نحل تحت هذه الشعارات البراقة.فقد كرست المؤسسات التعليمية آنذاك فضلا عن التربية الأخلاقية في البيت جهودهما لتوحيد مفاهيم العلم والعمل بحيث تحقق هدف اليابان القومي وسرعة أنجاز ذلك. وبعد هزيمة اليابان في الحرب الكبرى الثانية انتقل هذا الشعار بدلا من العمل لأجل الإمبراطور إلى شعار العمل من اجل المصنع أو الشركة أو البنك الذي ينتمي إليه.

بالشركة مدينة بالفضل للشركة مما جعل للشركة كامل الحق في التدخل في حياة الفرد الشخصية والعائلية، وكل ذلك نجم عن الاحترام الزائد الذي أولاه أفراد الشعب الياباني لمعاني الولاء والإخلاص والتضحية، وكان لذلك أكبر الأثر في إثراء تلك القيم وتثبيتها في النفوس، إن البوشيدو كطريقة حياة ومبدأ قوم أسهمت في زرع قيم خالدة ترعرعت في ميدان الحب والحرب فأما في ميدان الحب فكان هناك الرابطة التي ربطت قلب كل ياباني بأرضه وجنسه وعقائده، وأما في ميدان الحرب فقد أسهمت في تخريج أجيال لا تعرف الخوف من أجل المصلحة الذاتية، بل أجيال تفضل الموت في سبيل الوطن. فقد تربت أجيال الساموراي في أحضان طبيعة قاسية وتربية خشنة لا تسمح بالضعف أمام المادة أو الاستسلام أمام الإغراء فكان النتاج باهرًا والعطاء سخيًا، فقد درج القوم على الاستئثار بالقليل والتنازل عن الكثير لأجل المجموع مفادها التضحية وإيثار الغير وإنكار الذات.

وقد كان أحد ثمار تلك الأخلاق الانطلاقة الحضارية التي انطلقتها اليابان من أجل اللحاق بالحضارة الأوربية الحديثة مستفيدة من كل ما أتيح لها من فرص لاقتناص العلم والتجربة، مستخدمة كل ما لديها من حيل ودهاء واستكانة أمام الغرب للحصول على المعرفة. ولقد توافرت لهم تلك الخصوصيات في علاقاتهم الاجتماعية فهم

يعرفون قيمة السمع والطاعة والولاء، ويفهمون أن الاعتراض على رأي الأستاذ يقابله العقاب والحرمان، وقد زاد ذلك من إحساس الإنسان الغربي بالكبرياء تجاه اليابانيين ودفعه إلى إعطاء أسرار الحضارة دون خوف أو تردد.

إن لغة الاستعباد والرقيق التي ولدتها طبيعة المجتمع الياباني في العصر الإقطاعي جعلت إمكانية التعامل مع أي جنس سهلة ولا تتطلب جهدًا خارقًا، وقد جعل ذلك كثيرا من الأجانب يصفون الشعب الياباني بالأدب والتواضع، ولكن الحقيقة أن القسوة التي يلاقيها الياباني مع من هم أعلى منه جعلته يعتاد الصبر والاستكانة وبالتالي التواضع والخضوع.

عودة إلى حديثنا عن معاني البوشيدو الخالدة نجد أن القيم الخالدة التي زرعتها البوشيدو من ضبط نفس وحلم ورأفة وإحسان وصبر وشجاعة كانت لها أكبر الأثر في تطويع الإنسان الياباني لخدمة أغراض النهضة الحديثة، فإن معاني الصبر والحرمان والجلد التي تميز بها رجل البوشي قد ترجمت إلى قيم ضرورية من قيم العمل والإخلاص للدولة، وبالتالي أسهمت في رفعة شأن الصناعة اليابانية، ونجم عن ذلك قدرة اليابان على الدخول في عالم المنافسة الحرة في الصناعة والتجارة.. لقد حمل نسل الساموراي على عاتقهم عبء تحديث اليابان، وأخذ المثقفين اليابانيين على عاتقهم دورًا هامًا

وحيويًا في تبصير الشعب الياباني بأهمية التقدم والحضارة الحديثة، في الوقت الذي أخذ فريق آخر على عاتقه مهمة نقل واقتباس أصول الميكنة الحديثة، وسار الفريقان يدعمان هدف الدولة القومي الذي رفعته وأهمها شعارات:

بونمي كايكا Bommei.kaika 文明開化 ويعني: الحضارة والتنوير، وفوكوكو كيوهييى Fukoku.kyoohei 富国強兵 ويعني: دولة غنية وجيش قوي، وتمثل تلك الشعارات المرحلة الأولى في عملية التقدم في اليابان.[١٥] وقد أعقب ذلك شعارات جديدة لاستكمال معاني الحداثة. إن الجانب العملي من الحضارة قد استحوذ على كل اهتمام اليابانيين سواء كانوا مثقفين أو سياسيين أو أصحاب رؤوس أموال أو عوام، وأعقب ذلك إهمالاً متعمدًا للجوانب الروحية والإنسانية معًا، وقد ترك ذلك أثرا واضحًا في عجز اليابان عن استيعاب الجوانب اللاهوتية والفلسفية للحضارة الأوربية.. وربما كانت الظروف الدولية التي أحاطت باليابان أحد الأسباب التي حالت دون استكمال اليابان مسيرة التقدم في مجال

---

[١٥] إن التربية القاسية التي نشأ عليها الطفل الياباني جعلت منه رجلا قويا يعي المسئولية ويتحملها منذ الصغر. حتى إذا بلغ الحلم وتحمل مسئولياته تجاه المجتمع أداها على أكمل وجه يحكمه في ذلك أمران أساسيان يفوقا كلمة الضمير وان كانا يساويانه في المضمون. أما أحدهما فهو: الخوف من نقد الآخرين الناتج من الإحساس بالخجل Bojokukan 恥辱感، وثانيهما فهو رد الجميل Ongaeshi 恩返し الواجب نحو المكان الذي ينتسب إليه والذي يحتم عليه الالتزام أمام المجتمع التزاما لا يقبل المساومة أو الإخلال بالواجب وإلا الانتحار Harakiri 腹切り أذا فشل في القيام بالواجب المنوط به.

الحكم والسياسة، وبالتالي ساهمت في كثير من سوء الفهم لطبيعة الثقافة والفكر الياباني بشكل عام. . ونظرًا لأن العقائد الإلهية تمثل الجانب الهام في الحضارات العالمية فإنه يبدو واضحًا من طبيعة الحضارة اليابانية ومن خلال هذه الفكر الذي حمله رجال البوشي أنها كانت تمثل معاني أخلاقية أكثر منها عقائدية. . وبالتالي فإننا نجد أن معاني الوفاء والولاء والطاعة كان مقصود بها تحقيق هدف اليابان السياسي في اللحاق بالمدنية الغربية. كذلك نجد أن الاحترام والثقة بين أبناء الجنس الياباني لم تكن ذات صبغة عالمية يمكن أن تمتد بشكل أو بآخر إلى أجناس أخرى، ومن هنا نجد أن البوشيدو قد خلقت من جانب قيمًا خالدة رفعت من قيمة الجنس الياباني، ومن جانب آخر ولدت إحساسًا عنصريًا بالتفوق ورغبة قوية في الانتصار على أي جنس آخر، وأسهم ذلك بدوره في تمكين اليابان من تحقيق حلم التقدم في وقت وجيز. . أما إذا تحدثنا عن الجانب السلبي الذي أحدثته البوشيدو في علاقة اليابانيين بغيرهم من الأجناس الأخرى لوجدنا أنها ولدت روحًا قومية امتلأت بالرغبة في التوسع على حساب الجيران، بل وحربًا توسعية أساسها العدوان، كما أنها ولدت أيضًا كراهية غريبة لأي أجنبي، بل ومقاطعة له وتوجس منه مما جعل العلاقات الدولية بين اليابان وجيرانها الآسيويين شبه مستحيلة، ثم ما لبث أن اندلعت حربًا توسعية بين اليابان

والغرب انتهت بهزيمة اليابان هزيمة كبرى على يد قوات الحلفاء . . باختصار لقد تحولت البوشيدو إلى سلاح ذو حدين، فقد ولدت الشرارة العظمة التي حولت اليابان من دولة إقطاعية فقيرة الموارد والعلم إلى دولة صناعية وتجارية كبرى، ومن جانب آخر فقد جرت اليابان إلى حرب توسعية وعدوانية انتهت بهزيمتها . .